المهارة الثَّانية:

مَهَارَةُ الفَهْمِ وَالتَّحْلِيلِ

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

" طَلَبُ الْعِلْمِ دَرَجَاتٌ وَمَنَاقِلُ وَرُتَبٌ لَا يَنْبَغِي تَعَدِّيهَا وَمَنْ تَعَدَّاهَا جُمْلَةً فَقَدْ تَعَدَّى سَبِيلَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ وَمَنْ تَعَدَّى سَبِيلَهُمْ عَامِدًا ضَلَّ، وَمَنْ تَعَدَّاهُ مُجْتَهِدًا زَلَّ".

إِعْدَادُ

أَكَادِيمِيَّةِ غِرَاسِ العِلْمِ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

❖ تعريف مهارة الفهم.

فهم الطالب لما يقرأه أو يسمعه، وقدرته على توظيف ما فهمه في سياقات جديدة ونافعة.

❖ أهمية مهارة الفهم.

تنبع أهميَّة هذه المهارة من عدة نقاط:

- **أولًا: تحقيق الفهم الصَّحيح** للنُّصوص الشَّرعيَّة ـ الكتاب والسُّنَّة ـ، وكلام أهل العلم في النُّصوص التُّراثية أو المحاضرات المسموعة.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **" فإنَّ الاختلاف تارة ينشأ من سوء الفهم ونقص العلم، وتارة من سوء القصد".**

- **ثانيـًا**: **التَّمكن من تمييز الصَّواب من الخطأ** فيما يسمعه طالب العلم، أو يقرأه خلال رحلته العلميَّة.

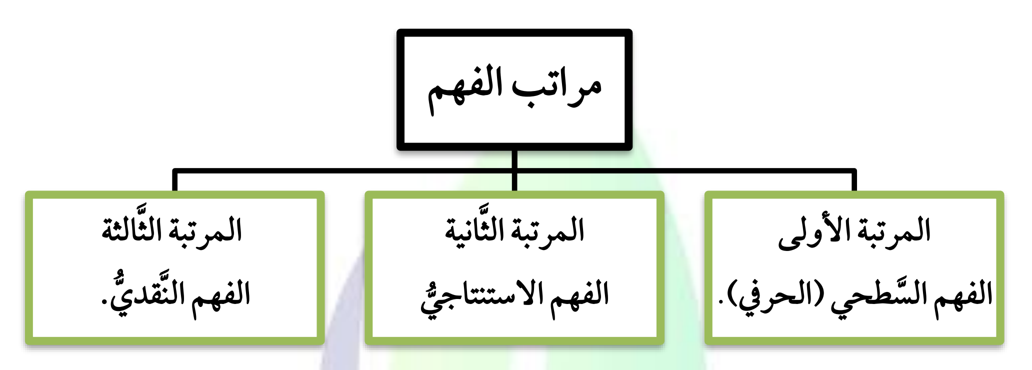
- **ثالثـًا: القدرة على استنباط معانٍ جديدة وتوليد أفكار** من خلال الكلام المسموع أو المقروء.

- **رابعـًا: تمكُّن طالب العلم من تنزيل ما تعلمه بصورة صحيحة في الواقع.**

- **خامسـًا: المحافظة على صحَّة الدِّماغ**، فقد أثبتت الدِّراسات أنَّ الأجزاء التي لا تستعمل من العقل تتلاشى مع مرور الزَّمن، وتُسبِّب وقوع الخرف وضعف التركيز خاصَّة في مراحل العمر المتقدِّمة.

❖ مراتب الفهم.

فهم الطَّالب للمقروء أو المسموع على مراتب، كلُّ مرتبة أعلى من التي قبلها:



- **المرتبة الأولى: الفهم السَّطحي (الحرفي).**

ويقصد بهذه المرتبة قدرة الطَّالب على فهم المعنى اللُّغوي الظَّاهري للمقروء أو المسموع، بحيث تكون جميع الكلمات والتَّراكيب مفهومة لديه، والأفكار الأساسيَّة واضحة ومتسلسلة عنده؛ بحيث لو طلب منه التَّعبير عنها فإنَّه يعبِّر بشكل صحيح.

نص التعليق عليه أثناء المحاضرة

ومتى شعر طالب العلم بعدم قدرته على فهم نصٍّ مقروء أو محاضرة مسموعة في دورة يحضرها فهذا يعود في العادة لأحد ثلاثة أسباب:

- **السَّبب الأول: ضعف قدراته اللُّغوية، وقلَّة معرفته بمعاني المفردات والتَّراكيب.**

ـ كيف أعرف إذا كنت أعاني من هذه المشكلة؟

إذا كان الكتاب مقرَّرًا للمستويات الأساسية، ويوصي به أهل العلم للمبتدئين، ووجدت عامَّة أقرانك يفهمونه بشكل صحيح فالمشكلة إذن متعلِّقة بلغتك

تطبيق: انظر في هذا النَّص من "تفسير الكريم الرَّحمن" وانظر في مقدار فهمك له.

يقول الشيخ السَّعدي ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾: **"أي: معاونين، مظاهرين لله على شأن من الشئون، أي: ما ينبغي ولا يليق بالله، أن يجعل لهم قسطا من التدبير، لأنهم ساعون في إضلال الخلق والعداوة لربهم، فاللائق أن يقصيهم ولا يدنيهم".**

ـ العلاج:

- **أوَّلًا**: رفع الكفاءة المعرفيَّة اللُّغوية من خلال أخذ دورات في النَّحو والبلاغة.
- **ثانيًا**: الاستمرار في القراءة الهادئة، واكتشاف معاني المفردات والتَّراكيب، والسؤال عمَّا يشكل إلى أن تتشكَّل لديك الملكة مع مرور الوقت.

- **السَّبب الثَّاني: أن يكون الكتاب أو المحاضرة أو الدورة أعلى من المستوى المعرفيِّ للطَّالب.**

ـ كيف أعرف أني أعاني من هذه المشكلة؟

إذا كنت تستطيع **فهم كتب المبتدئين** وما فيها من مفردات وتراكيب بشكل سلس، ثمَّ أشكل عليك فهم هذا الكتاب أو هذه المحاضرة فهذا مؤشِّر لارتفاع مستواها، خاصَّة إذا كنت قد اخترت سماعها وحدك دون الرُّجوع لمعلمك الذي يعرف مستواك.

ـ العلاج: الرُّجوع إلى المعلم وإخباره بما حصل معك، وهو سيحدِّد لك الأفضل أو ينقلك إلى مادة أيسر؛ فالمعلِّم النَّاصح هو من يعلم الطَّالب صغار العلم قبل كباره.

تطبيق: اقرأ هذا النَّص بتمعُّن، ثمَّ انظر في مقدار فهمك له.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه **"درء تعارض العقل والنَّقل"**: **"الرَّابع: أن يقال: الممكن لا يتحقق وجوده بمجرد ممكن آخر، فإن ذلك الممكن الآخر لا يترجح وجوده على عدمه إلا بغيره وإذا كان الممكن الذي قدر انه الفاعل المؤثر المرجح لم يترجح وجوده على عدمه، بل يقبل الوجود والعدم، فالممكن الذي قدر أنه الأثر المفعول المصنوع المرجح أولى ألَّا يترجح وجوده على عدمه، بل هو قابل للوجود"**.

- **السَّبب الثَّالث: أن يكون المحاضِر ضعيفًا في إيصال الأفكار، أو الكتاب مكتوبًا بطريقة غير سليمة.**

-كيف أعرف أن هذا هو سبب المشكلة؟

إذا كان الطَّالب متمرِّسًا على قراءة الكتب بمختلف مستوياتها ولا يواجه أيَّ مشكلة في ذلك، ثمَّ اصطدم بهذا الكتاب أو تلك المحاضرة فأُشكل عليه تمامًا، فهذه قرينة على وجود مشكلة في الكتاب أو أسلوب المحاضِر ولغته.

تطبيق: انظر في هذا البيت، وانظر مقدار فهمك له.

ومـا مثلـه في النَّـاس إلَّا مملكًـا ... أبـو أمِّـه حـيٌّ أبـوه يـقـاربـهْ

ـ العلاج:

- **أوَّلًا**: سؤال المعلِّم عن الكتاب أو المحاضرة، أو الاستفسار ممَّن قرؤوا هذه الكتب أو سمعوا المحاضرات، هل واجهوا نفس مشكلتك؟
- **ثانيًا**: تحصيل المعلومة مرَّة أخرى من خلال مصدر معرفيٍّ آخر.

- **المرتبة الثَّانية: الفهم الاستنتاجيُّ**، وهذه المرتبة أعلى من سابقتها.

ويقصد بها قدرة الطَّالب على فهم أعماق الكلام المقروء والمسموع، وما وراءه، والمقاصد البعيدة للمتكلِّم، وتوليد أفكار جديدة من خلال النَّصِّ المقروء، ومن ذلك:

- استدلال الإمام الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ على وجوب التَّرتيب في الوضوء من نفس آية الوضوء ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

  ووجه الدلالة فيها أنَّ الله سبحانه ذكر ممسوحًا ـ الرَّأس ـ بين مغسولين ـ اليدين والقدمين ـ، ولو لم يكن هذا التَّرتيب مقصودًا لكان مخالفًا للبلاغة في الكلام العربي التي تقتضي ألَّا يقطع ذكر النَّظير عن نظيره إلَّا لفائدة، وهي هنا التَّرتيب.

- واستدلال عليٍّ رضي الله عنه على أنَّ أقلَّ مدَّة الحمل ستَّة أشهر من خلال الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، وقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، فإذا كان الفصال ـ الفطام ـ بعد رضاعة حولين كاملين ـ ٢٤ شهرًا ـ فقد بقي للحمل ٦ أشهر من الثلاثين.

- وهذا الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ بنى كتابه العظيم **"إعلام الموقعين"** على رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

- ولا يمكن تحصيل هذه المرتبة إلَّا بعد تحصيل المرتبة الأولى من الفهم السَّطحي.

- وهذه المرتبة يتفاوت فيها العلماء والطَّلبة بشكل كبير؛ فتجد أحدهم يستنبط من النَّصِّ فائدة أو اثنتين، والآخر يستنبط منها أربعين أو خمسين فائدة.

  - فهذا الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستنبط اثنتين وسبعين فائدة فقهيَّة في ليلة واحد، وذلك عندما زار الإمام أحمد وبات عنده.

  - ويجمع **الإمام ابن القاصِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفوائد من حديث: **(يا أبا عمير ما فعل النُّغير)**، ويذكر: **"أنَّ في هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستين وجهًا"**.

    وابن الصَّباغ المكناسي يُملي في مجلس شرح هذا الحديث أربعمئة فائدة.

- **كيف أنمِّي هذه المهارة لديَّ؟**

  - **أوَّلًا: مجالسة العلماء وملازمتهم** أكبر فترة ممكنة؛ لأنَّهم من يعلِّمك هذا النَّمط من الفهم، وهذه الطرق من الاستنتاج والاستنباط.

  - **ثانيًا: ممارسة أسلوب العصف الذِّهنيِّ، والتَّفكير بصوت مرتفع مع الزُّملاء.**

تطبيق: حاول أن تستخلص مع زملائك ما تستطيع من الفوائد من هذا الحديث.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الحالُّ المرتحل**»، قال: وما الحال المرتحل؟! قال: **(الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره، كلَّما حلّ ارتحل)**

- **المرتبة الثَّالثة: الفهم النَّقديُّ.**

ويقصد بها قدرة الطَّالب على تقييم مستوى الكلام المسموع أو المقروء من حيث الصَّواب والخطأ، ومن جهة قوَّة اللُّغة التي صيغ بها، وعُمق ذهن صاحبها، ومنطلقاته الفكريَّة.

تطبيق: اقرأ هذا النَّص بتمعُّن، وحاول أن تنقده مع زملائك، وتبيِّن وجه الخلل فيه.

يقول الأستاذ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستدلًا على عدم مشروعيَّة تغطية الوجه للمرأة:

"إذا كانت الوجوه مغطاة فعمّ يغض المؤمنون أبصارهم؟ كما جاء في الآية الشَّريفة: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ...) أيغضّونها عن القفا والظَّهر؟!، فالغض يكون عن الوجوه بداهة".

اكتب رأيك ونقدك: ....

....

ـ كيف أنمِّي هذه المهارة لديَّ؟

- **أوَّلًا: دراسة الأصول الشَّرعيَّة الصَّحيحة** على يد العلماء الثِّقات وتثبيتها وترسيخها في الذِّهن؛ حتَّى أستطيع مقارنة ما أسمعه أو أقرأه بها.
- **ثانيًا: استخدام الوسائل التي ذكرت في المهارة السَّابقة.**
- **ثالثًا: توسيع دائرة القراءة والسَّماع مع مرور الوقت،** لتشكِّل لك مخزونًا معرفيًّا يمكِّنك من تقييم مستوى الكلام الذي تقرؤه أو تسمعه.

❖ العوامل الأساسيَّة المؤثِّرة في عمليَّة الفهم والتَّحليل.

هناك مجموعة من العوامل المؤثِّرة على علميَّة الفهم والتَّحليل لدى طالب العلم وتحديد مستواها، لا بدَّ من معرفتها وتسليط الضّوء عليها:

- **أولًا: الذَّكاء الطَّبيعيُّ**، فلا بدَّ أن نعترف بتباين القدرات الذِّهنيَّة عند البشر، واختلاف الاستعدادت العقليَّة لديهم، ومهما حاول الإنسان من تطوير مهارة الفهم لديه فستبقى هناك مساحة معينة لن يتجاوزها، **وهي التي قسمها الله له.**

قال الخطيب البغداديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا الأزهري، قال: بلغني أنَّ الدَّارقطنيَّ حضر مجلس إسماعيل الصَّفار، فجعل ينسخ جزءًا كان معه، وإسماعيل يملي؛ فقال رجل: **لا يصحُّ سماعك وأنت تنسخ**، فقال الدَّارقطنيَّ: **فهمي خلاف فهمك؛ كم تحفظ أملى الشَّيخ؟** فقال: **لا أحفظ**، فقال الدَّارقطنيَّ: **أملى ثمانية عشر حديثًا؛ الأوَّل عن فلان عن فلان، ومتنه كذا وكذا، والحديث الثَّاني عن فلان عن فلان، ومتنه كذا وكذا**، ومرَّ في ذلك حتَّى أتى على الأحاديث، فتعجَّب النَّاس منه، أو كما قال.

- **ثانيـاً: التَّراكم المعرفيُّ**، فكلَّما ازداد حجم المعارف والمعلومات لدى الطَّالب ازدادت مقدرته على التَّحليل والفهم؛ فتكثيف مساحة المعلومات أحد أبرز طرق تنمية مهارة التَّحليل والفهم.

ولذا وجب دفع الطَّالب للقراءة في وقت مبكر حتَّى يتمكَّن من تحصيل هذا الزَّخم المعرفيِّ الذي سيعينه فيما بعد على الفهم والتَّحليل الجيِّد.

- **ثالثًا: نمط التَّعلُّم الأساسيِّ**، فنوع التَّعليم الذي حصل عليه الطَّالب لدى المعلمين مؤثِّر بشكل أساسيٍّ على مستوى الطَّالب في التَّحليل والفهم.

فالمعلِّم الذي يسعى لرفع كفاءة الطَّالب في هذه المهارة وتعزيزها من خلال عمليَّات العصف الذِّهنيِّ، وتعميق الطَّرح العلميِّ، وممارسة عمليَّة التَّحليل والنَّقد البناء أمام الطَّالب؛ يصنع في الطَّالب هذه القدرات التَّحليليَّة الفهميَّة، بخلاف المعلِّم الذي شأنه أن يعطي المعلومة بشكل سطحيٍّ ويذهب، فمثل هذا يقتل مهارة الفهم لدى الطَّالب.

- **رابعًا: قدرة الطَّالب على التَّركيز ودفع الشَّتات الذِّهنيِّ أثناء عمليَّة التَّعلُّم.**

فامتلاك الطَّالب قدرة عالية على التَّركيز وعدم التَّشتُّت أثناء عمليَّة التَّعلُّم من أهمِّ العوامل المؤثِّرة على مستوى الفهم الذي يحصده الطَّالب خلال رحلته العلميَّة.

ومن هنا كان لا بدَّ من تسليط الضَّوء على طرق تنمية عمليَّةِ التَّركيز ودفع الشَّتات، نظرًا لحساسيتها الكبيرة في هذا الباب.

- **صناعة التَّركيز.**

كثير من طلاب العلم لا يلاحظ أنَّ وقته يضيع في أثناء القراءة أو السَّماع للمحاضرات في حالة التَّشتُّت الذِّهنيِّ، والسَّبب في كثرة هذا التَّشتت الذِّهنيِّ وحصوله بصورة مستمرة عند كثير من الطلاب هو أنَّ الطَّالب لا يعي ما الذي يحدث معه، أي لا يراقب الحالة الدَّاخلية عنده في التَّفكير أثناء القراءة أو سماع المحاضرة أو حضور الدَّورات؛ وبالتَّالي يضيع كثير من الوقت في عمليَّات تشتُّتٍ ذهنيٍّ، وتكون المخرجات النِّهائية من عمليَّة القراءة أو سماع المحاضرة أو الدَّورة ضعيفة، ثمَّ يشكو الطَّالب من قلَّة الاستفادة من غير أن يعي موطن المشكلة، والتي هي عدم قدرته على ضبط تركيزه أثناء العمليَّة الدِّراسيَّة.

ومن هنا نقول: إنَّ أهمَّ شيء عليك أن تتقنه يا طالب العلم أن تلاحظ عمليَّات التَّشتُّت الذِّهنيِّ التي تحصل معك، ثمَّ تقيِّم نفسك بعد كلِّ عمليَّة دراستك وتعلُّمك؛ فتنتبه على لحظة خروجك عن أجواء الدَّرس، ثمَّ لحظة عودتك، وهذا ما يسمَّى بـ **"اليقظة الذِّهنيَّة"**.

ـ **مثاله**: كأن يتذكَّر الطَّالب أنَّه تابع المحاضرة حتَّى السَّاعة الأولى، ثمَّ حصل له شتات، ثم انتبه أنَّ تركيزه عاد إليه بعد ذلك، وبالتَّالي فهناك مدَّة معيَّنة لا يتذكَّر منها شيئًا؛ فيقوم بإعادة سماع هذا الجزء المفقود، ثمَّ يستمر على هذه الطَّريقة، ويجاهد نفسه على زيادة مستوى تركيزه خلال الدَّرس، وهذا يصلح غالبًا في المحاضرات الصَّوتيَّة أو التي تكون على اليوتيوب.



واجب (١): اذهب إلى هذه محاضرة "على خُطى التغيير"، واسمعها مراقبًا تركيزك في أثناء السَّماع.

التَّركيز		التَّشتت		إعادة السَّماع	
من	إلى	من	إلى	تمّ	لم يتمّ
من	إلى	من	إلى	تمّ	لم يتمّ
من	إلى	من	إلى	تمّ	لم يتمّ

ومن الممارسات التي ربَّما تعين على اليقظة الذِّهنيَّة هي قضيَّة الخشوع في الصَّلاة، حيث يراقب طالب العلم نفسه ويقيِّمها كلَّما أنهى صلاة، كم مدَّة التَّركيز في هذه الصَّلاة؟ ركعة أو ركعتين أو أكثر؟ ثمَّ يحاول في الصَّلاة القادمة أن يزيد من مستوى تركيزه،

ويتحدَّى نفسه في هذا الميدان، واعلم أنَّ محاسبة النَّفس ومراقبتها الذِّهنيَّة في أثناء الصَّلاة ينعكس على تصرفاتك الأخرى في الحياة.

واجب (٣): راقب صلواتك الخمس خلال هذا اليوم، وراقب تركيزك فيها.

الفجر		الظهر		العصر		المغرب		العشاء	
مقدار التَّركيز		مقدار التَّركيز		مقدار التَّركيز		مقدار التَّركيز		مقدار التَّركيز	
مقدار التَّشتت		مقدار التَّشتت		مقدار التَّشتت		مقدار التَّشتت		مقدار التَّشتت	

ـ **أسباب حصول الشَّتات الذِّهنيِّ:**

عصف ذهني: حاول أن تستحضر مع زملائك أبرز الأمور التي تراها سببًا في حصول الشَّتات لديك.

١.
٢.
٣.

- **أوَّلًا: القيام بعمل آخر أثناء عمليَّة الدِّراسة**، من النَّظر في الهاتف بشكل متكرِّر، أو الحديث مع شخص آخر، أو مراقبة النَّاس في الطُّرقات، أو تناول الطَّعام، فهذه ومثلها لا شكَّ أنَّها تسبِّب الشَّتات، يقول تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾.

يعتقد الكثيرون بأنَّهم قادرون على أداء العديد من المهامِّ في آنٍ واحد؛ وأنَّه يمكنهم التَّركيز في جميع هذه المهامِّ التي يقومون بها والتَّنقُّل بينها بسلاسة دون حصول تشتُّت أو فقدان للتَّركيز، وهذا غير صحيح أبَدًا.

وعلى الرَّغم من أنَّ هناك حوالي ٢٪ من البشر لديهم القدرة على القيام بالمَّهام المتعدِّدة كهبة وراثيَّة إلَّا أنَّ طبيعة أدمغتنا مبرمجة لأجل التَّركيز على القيام بشيء واحد في وقت واحد، وليس القيام بالعديد من المهامِّ في ذات الوقت، وعليه فاعتقاد البعض بأنَّهم متعددو المهامِّ هو اعتقاد خاطئ؛ لأنَّهم في الواقع يجدون أنفسهم يتجولون ذهابًا وإيابًا بين المهامِّ التي يعملون عليها من غير حصول التَّركيز الفعليِّ في كلِّ المهامِّ في نفس الوقت.

وعلى سبيل المثال: لو افترضنا قيام أحدنا بأداء مهمَّة ما، وأثناء ذلك استقبل مكالمة هاتفيَّة وقام بالرَّدِّ عليها وهو ما زال مستمرًا في مهمَّته الأولى، فيعتقد هذا الشَّخص بأنَّه يقوم بأداء المهمَّتين في الوقت ذاته، والواقع ليس كذلك كما أثبتت الدِّراسات، وإنَّما هو يقوم بتحويل ونقل انتباهه وتركيزه من أحد أجزاء الدِّماغ إلى جزء آخر ثمَّ يعود -وهو ما يستغرق الكثير من موارد وخلايا المخِّ- حتَّى يتمكَّن من عمليَّة التَّحويل والتنقُّل هذه؛ وعندها تقلُّ موارد المخِّ المكرَّسة لأداء المهمَّة الأولى بسبب زيادة الموارد المكرَّسة للتَّركيز في المهمَّة الأخرى، وهو ما يؤثر بالطَّبع على الأداء وجودة العمل المُنتَج في النِّهاية، وهذا مثالٌ لتعدد المهامِّ يعدُّ يسيرًا.

كما وتبيِّن ذلك الدُّكتورة "**ساندرا بوند**" المؤسِّسِ والمدير العامِّ لمركز "**الصِّحة العقليَّة**" بجامعة تكساس في دالاس؛ حيث تقول: "**إنَّ تعدُّد المهامِّ يُنتج تفكيرًا ضحلًا، ويقلِّل من الإبداع، ويزيد من الأخطاء، كما يقلِّل قدرتنا على حجب المعلومات غير**

المتعلِّقة بالمهامِّ التي نؤدِّيها، وذلك لأنَّ أدمغتنا لم يتمَّ بناؤها على تعدُّد المهامِّ، وبالتالي مع مرور الوقت من الممكن أن يؤدِّي تعدُّد المهامِّ إلى مستويات عالية من التَّوتر والاكتئاب وانخفاض قدراتنا الذِّهنية؛ لذا فإنَّ تعدُّد المهامِّ يُعتبر مُسببًا رئيسًا لحدوث تبعثر الدِّماغ عن طريق دفع العقل للانتقال ذهابًا وإيابًا من مهمَّة إلى أخرى أثناء العمل على أكثر من مهمَّة، بالإضافة إلى خفض قدرتنا على التَّغاضي عن المعلومات غير المتعلِّقة بما نقوم بتأديته؛ ممَّا يؤدِّي في النِّهاية إلى متلازمة الدِّماغ المتناثر".

- **ثانيًا: الجلوس في مكان تستجدُّ فيه أمور بشكلٍ مستمرٍّ**؛ وذلك أنَّ العقل البشريَّ يندفع لكلِّ شيء جديد ويطلبه، فعند ممارسة عمليَّة القراءة أو السَّماع في مكان تكثر فيه حصول الأحداث بصورة مستمرَّة فإنَّ هذا يسبِّب انقطاع التَّحليل والتَّفكير بصورة متكرِّرة، وبالتَّالي تضعف جودة المخرجات.

عصف ذهني: حاول أن تستحضر مع زملائك أبرز الأماكن التي يحصل لك فيها التَّشتت.

وأثبتت الدِّراسات الحديثة أنَّ وصول الإنسان في أثناء عمليَّة القراءة أو السَّماع إلى أعلى مستويات تركيزه يحتاج إلى ٢٥ دقيقة كحدٍّ أدنى؛ وبالتَّالي فإنَّ أيَّ عمليَّة انقطاع أو تشتُّت ذهنيٍّ أثناء الدِّراسة ستعيدك إلى مربَّع الصِّفر، وستحتاج إلى مثل هذا الوقت لإعادة تركيزك إلى مستواه العالي.

وعليه فلو قمت بصناعة كأس من الشَّاي أو القهوة، أو ذهبت لشراء شيء معيَّن أو حتَّى المغادرة إلى دورة المياه فستقطع عملية التركيز، فلو عدت بعد ذلك فستشرع في بناء تركيزك مرَّة أخرى، فكيف إذا تكرَّر هذا الانقطاع عدَّة مرَّات خلال قراءة الكتاب أو سماع المحاضرة؟!

وتشير الدِّراسات الحديثة أيضًا إلى أنَّ كثيرًا من النَّاس يبقى في حالة الانتباه الجزئيِّ المستمرِّ في أثناء ممارسته للقراءة أو سماع المحاضرات، أي لا يصلون للتَّركيز الكليِّ التامِّ؛ لأنَّ دماغهم ينتظر باستمرار حصول شيء جديد، فتجده ينتظر وصول رسالة على الواتساب أو غيره، أو ينتظر مكالمة معيَّنة، أو ينتظر دخول شخص وهكذا، بالتالي هم لا يحافظون على تركيزهم في شيء واحد مدَّة كافية.

وكثرة التَّنقُّل والتَّرقُّب للجديد يصبح مع الوقت سلوكًا إدمانيًا يحرِمك من تنمية مهارة التَّركيز والاستيعاب، وهذا كلُّه يؤثِّر مع المدى البعيد على مستواك التَّحصيليِّ والمعرفيِّ.

قد لا يدرك البعض تأثير هذا الانقطاع على أدمغتنا، إلَّا أنَّ التَّعرض المستمرَّ للمعوقات أو المشتتات يدفعنا إلى الانقطاع المتتالي أثناء أداء مهمَّة ما، وتكرار حصول هذا الانقطاع المتتالي يجعل أدمغتنا قابلة للتَّكيف والتَّأقلم على ذلك حتَّى يصبح الانقطاع -مرارًا وتكرارًا- أثناء أداء المهمَّة الواحدة أمرًا اعتياديًا، بل واجب الحدوث، وبالتَّالي نجد أنفسنا بعد ذلك عند أداء أيِّ مهمة -مهما كانت- ننقطع عمَّا نؤدِّيه دون أدنى داعٍ إلى ذلك، وإنَّما فقط للتَّكيف مع الانقطاع الذي أصبحت أدمغتنا مدمنة عليه.

ويُطلق على الحالة المتمثِّلة في إدمان الانقطاع عند أداء أيِّ مهمَّة "**متلازمة الدِّماغ المبعثر**" أي المتناثر، وذلك نسبةً إلى تلازم الانقطاع في عقولنا، وتشتيت الدِّماغ ليصبح في حالة من التَّناثر وعدم التَّركيز المستمرِّ.

يطلق مصطلح "**متلازمة الدِّماغ المُبعثر**" على الإنهاك الفكريِّ الذي يتمثَّل في عدم قدرة الشَّخص على إنهاء وإتمام مهمَّة واحدة دون الشُّروع في غيرها، فلا يشرع في مهمَّة إلَّا وينصرف إلى غيرها قبل أن يتمَّ الأولى، ويطلق هذا المصطلح أيضًا على الصُّعوبة البالغة في تذكُّر أبسط الأشياء.

فتشير إحدى الدِّراسات الَّتي تمَّت للتَّعرف على الأسباب المؤدِّية إلى التَّناثر الدِّماغيِّ- إلى أنَّ مواجهة صعوبة في تذكُّر بعض الأشياء لا يرتبط -كما هو شائع- بالسَّعة التَّخزينيَّة لعقولنا، ولا يتوقَّف على كمِّ المعلومات التي ندخلها في رؤوسنا؛ بل يعتبر عدم قدرتنا على ترشيح المعلومات والمدخلات التي نتعرَّض لها ـ بحيث نختار المدخلات الهامة التي تخدمنا ونتجاهل باقي المدخلات إلى إشعار آخر ـ هو السَّبب الجوهري في حدوث إدمان الانقطاع، والذي يؤدِّي بالتَّبعية إلى متلازمة الدِّماغ المتناثر، فعدم قيامنا بحجب الأفكار والمعلومات غير الهامَّة التي نتعرض لها يؤدي إلى ضعف قدراتنا الإدراكيَّة العامَّة.

وتشير الدراسة ذاتها إلى أنَّ من يعانون من تبعثر الدِّماغ هم -في الأساس- لا يمتلكون القدرة على حجب المعلومات غير الهامَّة، وهو ما يجعل الذَّاكرة غير قادرة على معالجة كافَّة المعلومات التي تتعرَّض لها؛ ممَّا يؤدِّي في النِّهاية إلى تلاشي بعض المعلومات الهامَّة والتي قد نكون في حاجة لها.

فتجاهل بعض المعلومات التي نتعرض لها أمر هامٌّ حتَّى نتمكَّن من التَّركيز على المُدخلات الأخرى الأكثر أهميَّة، حتَّى نستطيع تذكُّرها فيما بعد.

وقد يرجع كل ذلك إلى التّكنولوجيا الحديثة لأنَّها هي المسؤول الأوَّل عن إعادة توجيه أدمغتنا لنصبح مدمنين على الانقطاع، فصرنا ننتظر الرِّسالة النَّصية أو البريد

الإلكتروني القادم بفارغ الصبر؛ وعليه فيعدُّ تبعثر الدِّماغ عرضًا طبيعيًا للحياة الرَّقمية الحديثة التي نعيشها الآن، والتي تطغى فيها المعلومات بصورة أكبر من اللَّازم.

وهذا يقودنا إلى موضوع آخر وهو أهميَّة أن يأخذ الدَّرس أو القراءة وقتًا كافيًا يستطيع الإنسان فيه أن يصل إلى أعلى مستويات التَّركيز ولا تكون الجلسة قصيرة تقلّ عن ٢٥ دقيقة في العادة، إذ الإنسان الذي يقرأ أو يشاهد مقطعًا دراسيًّا علميًّا لمدَّة أقل من ذلك لا يكون مستوى التَّركيز عنده قد وصل إلى منتهاه، ومتى استمرَّ هذا الدَّيدن في الطَّالب من عدم قدرته على الجلوس أو التَّحمل لهذه المدَّة فصاعدًا فإنَّنا نعتقد أنَّ مستويات الفهم والتَّحليل للدُّروس والمقروء ستبقى محدودة عند هذا الطَّالب.

- ✓ **مهمّ**: بناء على ما تقدَّم نخلص إلى أنَّ وسائل التَّواصل الاجتماعيِّ والنَّمط الذي فرضته من مشاهدة المقاطع القصيرة والتَّغريدات اليسيرة هي من أهمِّ أسباب فساد قدرات التَّحليل والفهم عند طلاب العلم المعاصرين، فالطَّالب قد اعتاد على تحصيل الشَّيء السَّريع وفي أسرع الأوقات دون بناء مستويات من التَّركيز عالية.

ومتى أصبحت السوشيال ميديا نمطًا في حياة طالب العلم فإنَّه سيفقد إلى مدى بعيد قدرات التَّركيز والفهم والتَّحليل، لأنَّه اعتاد على تحصيل شيء مركَّز خلال دقائق معدودة، فيصعب عليه أن يوطِّن نفسه على الجلوس لمدَّة زمنيَّة كافية يقوم فيها بممارسة عمليَّات التَّحليل والفهم، فهذه العمليَّات تحتاج ممارستها إلى مدَّة زمنيَّة كافية، وباعتياد ممارسة هذه العمليَّات في المدد الزَّمنية الكافية يصنع طالب علم مفكر يحسن الفهم والتَّحليل، وأمَّا عدم إعطاء هذه المهارة حقَّها ومساحتها لتنمو في حياتك فسيؤدِّي ذلك إلى بقائها ضعيفة لديك.

ـ طبيعة عمل الدِّماغ.

يحسن بنا هنا الإشارة إلى طبيعة عمل الدِّماغ البشريِّ، حيث يقول المتخصِّصون أنَّ الدِّماغ البشريَّ له حالتان:

- **الحالة الأولى: الشُّرود الذِّهنيُّ.**

وهذه تكون عندما لا يمارس الإنسان عملًا معينًا؛ فعندئذ يتجوَّل الدِّماغ في مواضيع مختلفة متنوعة قد لا يوجد بينها أيُّ رابط، وهذه الحالة الطَّبيعية للدِّماغ.

- **الحالة الثَّانية: حالة التَّركيز.**

وهذه تحتاج من الدِّماغ أن يفعِّل مناطق عصبيَّة معيَّنة متعلِّقة بالتَّحليل والتَّفكير، وتحتاج من الإنسان أن يبذل جهدًا وطاقة أكبر؛ لأنَّها مقاومة للحالة الطَّبيعية أي حالة الشُّرود الذِّهني، ومقاومة الوضع الطَّبيعيِّ يحتاج دائمًا إلى جهد ومشقَّة وصعوبة.

ـ ومن هنا يتبيَّن أيضًا سبب ضعف تركيز الإنسان مع مرور الوقت الطَّويل في عمليَّة التَحليل والفهم، فبعد مرور ساعة أو أكثر تجد أنَّ طاقة الطَّالب بدأت تضعف عن التَّركيز؛ لأنَّه أصبح مجهدًا من جمع الذِّهن على شيء معيَّن، وعقله يطالبه بالعودة إلى الحالة الطَّبيعيَّة حالة الشُّرود، ولذا لا ينصح أيضًا بإطالة مدَّة الدُّروس بشكل كبير منعًا لفقد التَّركيز الذي تصبح عمليَّة التعلُّم معه غير منتجة.

- **خامسًا: تقوية الذَّاكرة العاملة.**

من أكثر الأمور التي تُضعف عمليَّة الفهم والتَّركيز والتَّحليل أثناء القراءة والسَّماع هو ضعف ما يسمَّى **بالذَّاكرة العاملة**، والتي يسمِّيها البعض **"الذَّاكرة المؤقَّتة"**.

ففي أيِّ كتاب أو دورة أو محاضرة تذكر في العادة مجموعة من المصطلحات الأساسيَّة، يستصحبها الكاتب أو المحاضر معه إلى آخر الدَّرس، ويبني عليها الفكرة، لكنَّ كثيرًا من الطَّلبة لا يستطيعون ضبط هذه العناصر والمصطلحات الأساسيَّة، واستصحابها معهم في أثناء السَّماع والقراءة، وبالتَّالي تبقى المعلومات عندهم مفكَّكة من أول الكتاب أو المحاضرة إلى آخرها، وبالتَّالي لا يفهمون الكلام اللَّاحق لعدم استحضارهم للكلام السَّابق الذي كان ينبغي أن يبقى مستمرًا معهم إلى آخر الكتاب أو إلى آخر الدَّرس.

ومن هنا كانت تنمية الذَّاكرة العاملة ممَّا ينبغي أن يسعى طالب العلم لتطويره؛ حتَّى يتمكَّن من عمليَّة الفهم والتَّركيز والتَّحليل بأفضل صورة، وذلك من خلال ممارسة عدَّة أساليب:

- **أوَّلها: لا يكن دور الطَّالب مجرَّد تلقِّي المعلومات أثناء السَّماع أو القراءة فقط؛ بل يضمُّ إليه محاولة التَّحليل والتَّفكير في كلِّ شيء يقرؤه أوَّلًا بأوَّل**؛ لأنَّ عمليَّة التَّحرير والتَّفكير هي ما يرسِّخ المعلومات الأساسيَّة التي ينبغي استصحابها.
- **ثانيها: ممارسة التَّكرار اللَّحظيِّ**؛ بحيث يحاول الطَّالب تذكُّر المعلومات الأساسيَّة كلَّما قطع شوطًا في القراءة أو السماع حتَّى لا تغيب عن ذهنه تلك المعلومات.

تطبيق: حاول أن تستحضر مع نفسك أبرز العناصر والمصطلحات المهمَّة التي تنبني عليها محاضرة اليوم.

١.

٢.

٣.

- **ثالثها: كتابة المعلومات الأساسيَّة**، وذلك في حال كانت الذَّاكرة ضعيفة جدًا، بحيث يخشى من ضياعها إذا تعمَّق في الكتاب أو في سماع المحاضرات أو الدَّورات.
- **رابعها: محاولة إحداث شيء من الرَّوابط بين هذه الأفكار المتسلسلة**، إمَّا من خلال خريطة ذهنيَّة أو من خلال تجسيدها بشكل من الأشكال، خصوصًا إذا كانت الدَّورة موجَّهة للأعمار الصغيرة.

- **سادسها: صدق اللَّجأ إلى الله** أن يفتح عليك ما استغلق من الفهم؛ فالالتجاء إلى الله من أقوى أسباب تحصيل الفهم، وفتح الله على عبده ما استغلق عليه.

وقد أرشدنا الله إلى ذكره عند حصول نسيان أو غفلة فقال: **(وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ).**

وبين العلماء دور الافتقار لله والإكثار من ذكره وعبادته وأثر ذلك في تقوية الإنسان على الحق وتيسير الوصول إليه، **ومن ذلك:**

- ما قرَّر ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه **"إعلام الموقعين"** فيما يعين الإنسان على الفهم خاصَّة في إدراك حقائق المسائل والنوازل، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ينبغي للمفتي الموفَّق إذا نزلت به المسألة أن ينبعث من قلبه الافتقار الحقيقيُّ الحاليُّ – لا العلميّ – المجرَّد إلى مُلهم الصَّواب، ومُعلِّم الخير، وهادي القلوب: أن يلهمه الصَّواب، ويفتح له طريق السَّداد، ويدلَّه على حُكْمِه الذي شرعه لعباده في هذه المسألة؛ فمتى قرع هذا الباب فقد قرع باب التَّوفيق، وما أجدر من أمّل فضل ربِّه ألَّا يحرمه إياه، فإذا وجد من قلبه هذه الهمَّة فهي طلائع بشرى التَّوفيق، فعليه أن يوجِّه وجهه ويحدق نظره إلى منبع الهدى، ومعدن الصَّواب، ومطلع الرَّشَد، وهو النُّصوص من القرآن والسنة وآثار الصَّحابة، فيستفرغ وسعه في تعرُّف حكم تلك النَّازلة منها، فإن ظفر بذلك أخبر**

به، وإن اشتبه عليه بادر إلى التَّوبة والاستغفار والإكثار من ذكر الله، فإنَّ العلم نور الله يقذفه في قلب عبده، والهوى والمعصية رياح عاصفة تطفئ ذلك النُّور أو تكاد، ولا بدَّ أن تضعفه.

وشهدت شيخ الإسلام ـ قدَّس الله روحه ـ إذا أعيته المسائل واستصعبت عليه فرَّ منها إلى التَّوبة، والاستغفار، والاستغاثة بالله، واللَّجأ إليه، واستنزال الصَّواب من عنده، والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلَّما يلبث المدد الإلهيُّ أن يتتابع عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهيَّة إليه بأيَّتهن يبدأ، ولا ريب أنَّ من وُفِّق لهذا الافتقار علمًا وحالًا، وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد؛ فقد أعطى حظَّه من التَّوفيق، ومن حُرِمه فقد مُنع الطَّريق والرَّفيق، فمتى أعين مع هذا الافتقار ببذل الجهد في درك الحقِّ فقد سلك به الصِّراط المستقيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم"

- وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: "حقيق بالمفتي أن يكثر الدُّعاء بالحديث الصَّحيح: **(اللَّهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السَّموات والأرض، عالم الغيب والشَّهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)**، وَكَانَ شَيْخُنَا كَثِيرَ الدُّعَاءِ بِذَلِكَ، وَكَانَ إذَا أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ الْمَسَائِلُ يَقُولُ: **(يَا مُعَلِّمَ إبْرَاهِيمَ عَلِّمْنِي)**، وَيُكْثِرُ الِاسْتِعَانَةَ بِذَلِكَ اقْتِدَاءً بِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ لِمَالِكِ بْنِ يَخَامِرَ السَّكْسَكِيِّ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَقَدْ رَآهُ يَبْكِي، فَقَالَ: **وَاَللهِ مَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَا كُنْتُ أُصِيبُهَا مِنْكَ، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ اللَّذَيْنِ كُنْتُ أَتَعَلَّمُهُمَا مِنْكَ**، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **إنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنْ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا، اُطْلُبْ الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةٍ :عِنْدَ عُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ،**

وَذَكَرَ الرَّابِعَ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ هَؤُلَاءِ فَسَائِرُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَنْهُ أَعْجَزُ، فَعَلَيْكَ بِمُعَلِّمِ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ".

وكان بعض السلف يقول عند الإفتاء: **سبحانك لا علم لنا إلَّا ما علمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم**، وكان مكحول رَحِمَهُ اللهُ يقول: **لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله**، وكان مالك يقول: **ما شاء الله، لا قوة إلا بالله العلي العظيم**، كان بعضهم يقول: **ربِّ اشرح لي صدري، ويسِّر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**، وكان بعضهم يقول: **اللهم وفِّقني، واهدني، وسدِّدني، واجمع لي بين الصَّواب والثَّواب، واعذرني من الخطأ والحرمان**، وكان بعضهم يقرأ الفاتحة، وجربنا نحن ذلك فرأيناه من أقوى أسباب الإصابة.

والمعوَّل في ذلك كلِّه على حسن النِّية، وخلوص القصد، وصدق التَّوجُّه" انتهى

- يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: **"إنَّ المسألة لتغلَق عليَّ، فأستغفر الله ألف مرَّة أو أكثر أو أقل، فيفتحها الله عليَّ، وإنَّ من أسباب راحة البال، استغفار ذي الجلال"**.
- وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضًا: **"كنت إذا استغلقت عليَّ مسألة ذهبت إلى مسجد مهجور أخلو فيه بربِّي"**، قال ابن القيم: **"إنَّه كان مسجداً مهجوراً وكان يمرِّغ نفسه بالتُّراب"** .



❖ العوامل المساعدة في عمليَّة الفهم والتَّحليل.

- **أوَّلًا: النَّوم لمدَّة كافية صحيَّة**؛ حتَّى يستردَّ الذِّهن عافيته وقدرته على التَّركيز مرَّة أخرى؛ لأنَّ إجهاد الذهن بقلَّة النَّوم يُضعف قدرة الإنسان على التَّركيز والتَّحليل .

- **ثانيًا: تناول الأغذية الَّتي تنشِّط العمليَّات التَّحليلية للدِّماغ.**

وقد جمع موقع "**بولد سكاي**" المعني بالصِّحة ثمانية أنواع من تلك الأطعمة التي ثبت أنَّها فعَّالة ومفيدة جدًا في مجال تعزيز الذَّاكرة والتَّركيز، وهي:

١-الجوز.

٢-السَّبانخ.

٣-الشُّكولاته الداكنة.

٤-الأفوكادو.

٥-سمك السَّالمون.

٦-الشمندر.

٧- البروكلي.

٨ – صفار البيض.

ووفقًا لدراسة علميَّة أخرى فإنَّ [**أحماض (أوميغا-٣) الدُّهنية، وفيتامين (B12)، وفيتامين (B6)، وفيتامين(K)**] مفيدة للمخِّ، وتلعب الأغذية التي تحتويها دورًا رئيسًا في الحفاظ على صحَّة المخِّ، ومن الممكن أن تساعد على تحسين أداء مهامه الَّتي تتضمَّن الذَّاكرة والتَّركيز على المدى القصير والطَّويل.

- **ثالثًا: الصِّيام المتقطِّع وفراغ المعدة،** حيث تثبت الدِّراسات أنَّ الصِّيام المتقطِّع، وخِفَّة الجسم من الطَّعام تمنح العقل قدرة أقوى على التَّركيز والفهم والتَّحليل، لأجل ذلك حاول أن تعبِّئ معدتك قبل موعد الدَّرس، وتناول أشياء خفيفة تساعدك على البقاء في حالة يقظة فقط.

يقول جراح الأعصاب الدُّكتور **"راهول جنديال"** : **"إنَّ الصَّيام المتقطِّع مفيد جدًا للدِّماغ"**[1]، وقال جنديال: **"إنَّ الجوع المتقطِّع ينقِّي العقل، ويوقظ الحواس، ويحسِّن وظائف المخِّ"،** وأضاف: **"أنَّ عدم تناول الطَّعام حتَّى ليوم واحد يزيد من عوامل النُّموِّ الطَّبيعيِّ لدماغك، والتي تدعم بقاء الخلايا العصبيَّة ونموِّها"،** وقال: **"إنَّ الصِّيام يجبر الجسم على حرق احتياطاته من الدُّهون مرَّة أو مرتين في الأسبوع** ـ في حالة الصَّيام مرَّة أو مرَّتين ـ ونواتج **هذه العمليَّة تسمَّى "الكيتونات (ketones)" تحافظ على استمراريَّة دماغك خلال فترات الصِّيام والجوع، وتؤدِّي إلى تحسين الإدراك، وتنمية الرَّوابط بين الخلايا العصبيَّة، ودرء التَّنكس العصبي** ـ تراجع وظائف الخلايا العصبيَّة ـ ".

[1] وفقا لمقال في موقع **"هيلث (Health)"**.

❖ قواعد عامَّة لتطوير الفهم والتَّحليل.

- **قواعد لفهم المقروء وتحليله.**

  - **القاعدة الأولى**: قم باقتناء نسخة محقَّقة واضحة من الكتاب.
  - **القاعدة الثَّانية**: ينبغي معرفة الزَّمان والمكان والظَّرف الذي كتب فيه الكتاب.
  - **القاعدة الثَّالثة:** عند استشكال نصٍّ ما، فقم بإعادة قراءته مرَّات كثيرة لعلَّه يفتح بإذن الله.

  حُكي عن الماسرجسي أنَّه قال: سمعت أبا بكر الصَّيرفيَّ يقول: " **كرَّرتها** – أي المسألة – **على نفسي ألف مرَّة حتَّى تحقَّقتها**"

  - **القاعدة الرَّابعة**: إذا لم تستطع فهم كلام المصنِّف أو المؤلِّف من كتابه حاول مراجعة كتب تلامذته، أو من قام بشرح كلامه، أو علَّق عليه؛ فكثيرًا ما تجد حلَّ الإشكال عند التِّلميذ.

- **القاعدة الخامسة:** لا تتسرَّع في تشكيل تصوُّر معيَّن عن رأي أحد المصنِّفين في قضيَّة ما حتَّى تجمع كلامه من مختلف مظانِّه، وتعرف طريقته في استعمال الألفاظ.

ـ **مثال ذلك:** كلام شيخ الإسلام فيما يتعلَّق بالعذر بالجهل.

- **حيث ورد عنه ما ظاهره عدم العذر بالجهل لمن وقع بالشِّرك الأكبر** ومن ذلك.
- قوله: "**والذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويحجّون إليها ليدعوهم ويسألوهم، أو ليعبدوهم ويدعوهم من دون الله؛ هم مشركون"**.

- وقوله: **"فلو ذبح لغير الله متقربًا به إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبائحهم بحال".**

- **وعند الرُّجوع إلى كلامه نجده يصرِّح بالعذر بالجهل**، ومن ذلك:

- قوله بعد ذكر جملة من أنواع الكفر الأكبر: **"...، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ممَّا يخالفه".**
- وقوله: **"لكن مِن الناس مَن يكون جاهِلاً ببعض هذه الأحكام جهلاً يُعْذَر به، فلا يُحْكَم بكُفْر أحدٍ، حتى تقومَ عليه الحجة مِن جهة بلاغ الرِّسالة"**
- ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: **"ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلوليَّة والنُّفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش -لما وقعت محنتهم-(انا لو وافقتكم كنت كافرًا لأني أعلم أنَّ قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنَّكم جهَّال)".**

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ موضِّحًا معنى القاعدة: **"فإنَّه يجب أن يفسَّر كلامُ المتكلِّم بعضه ببعض، ويؤخذ كلامنا هاهنا وهاهنا، وتعرف ما عادته بعينه ويريده بذلك اللَّفظ إذا تكلَّم به، ونعرف المعاني التي عُرِف أنَّه أرادها في موضع آخر، فإذا عرف عُرفه وعادته في معانيه وألفاظه كان هذا ممَّا يُستعان على معرفة مراده، وأمَّا إذا استُعمل لفظه في معنى**

لم تجر عادته باستعماله فيه، وتُرك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه وحُمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عُرف أنَّه يريده بذلك اللَّفظ يجعل كلامه متناقضًا، وتُرك حمله على ما يناسب سائر كلامه كان ذلك تحريفًا لكلامه عن موضعه وتبديلًا لمقاصده وكذبًا عليه".

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أيضًا: **"يَجِبُ الْفَرْقُ بَيْنَ مَا وُضِعَ لَهُ اللَّفْظُ وَبَيْنَ مَا عَنَاهُ الْمُتَكَلِّمُ بِاللَّفْظِ، وَبَيْنَ مَا يَحْمِلُ الْمُسْتَمِعُ عَلَيْهِ اللَّفْظَ، فَالْمُتَكَلِّمُ إِذَا اسْتَعْمَلَ اللَّفْظَ فِي مَعْنًى فَذَلِكَ الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي عَنَاهُ بِاللَّفْظِ، وَسُمِّيَ " مَعْنًى " لِأَنَّهُ عَنَى بِهِ أَيْ قُصِدَ وَأُرِيدَ بِذَلِكَ، فَهُوَ مُرَادُ الْمُتَكَلِّمِ وَمَقْصُودُهُ بِلَفْظِهِ"**[٢]

- **القاعدة السَّادسة**: عليك أن تُتقن الفَرق بين المعاني الشَّرعيَّة والعُرفيَّة، والحقيقة والمجاز لئلا تخلط في الفهم، مع لزوم التَّقوي عمومـًا في قواعد دلالات الألفاظ.

ـ **مثال ذلك:** قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمَّا اجتمع النَّاس على إمام واحد في التَّروايح: (**نعمت البدعة هذه**)، مع أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: (**كلُّ بدعة ضلالة**).

وبيان ذلك:

- أنَّ قول عمر متوجِّه إلى البدعة بمعناها اللُّغوي التي هي الشَّيء الحديث الجديد، وإلَّا فصلاة التَّراويح ثابتة عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.
- وقوله صلى الله عليه وسلم: (**كلُّ بدعة ضلالة**) فيما يتعلَّق بالبدعة بالمعنى الشَّرعي الذي هو الإحداث في الدِّين ما ليس منه.

---

[٢] (منهاج السنة)

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ومن لم يعرف لغة الصَّحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم وعادتهم في الكلام وإلَّا حرَّف الكلم عن مواضعه، فإنَّ كثيرًا من النَّاس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ثمَّ يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصَّحابة فيظنُّ أنَّ مراد الله أو رسوله أو الصَّحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه، ويكون مراد الله ورسوله والصَّحابة خلاف ذلك، وهذا واقع لطوائف من النَّاس من أهل الكلام والفقه والنَّحو والعامَّة وغيرهم"**[٣].

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: **"وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ الْمُجْمَلَةُ فَالْكَلَامُ فِيهَا بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ دُونَ الِاسْتِفْصَالِ يُوقِعُ فِي الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَالْفِتَنِ وَالْخَبَالِ، وَالْقِيلِ وَالْقَالِ، وَقَدْ قِيلَ: أَكْثَرُ اخْتِلَافِ الْعُقَلَاءِ مِنْ جِهَةِ اشْتِرَاكِ الْأَسْمَاءِ"**.

- **القاعدة السَّابعة**: لا تقرأ الكتاب وأنت تبحث عن شيء يوافق رأيـًا تتبنَّاه، بل عليك الاتِّسام بالموضوعيَّة، ولا تفرض مسبقـًا أنَّ صاحب الكتاب يوافقك أو يخالفك، بل اجعل الكتاب وحده هو الحَكم؛ لأنَّ القراءة بطريقة خاطئة ستحرمك من حسن الفهم.

- **قواعد لفهم المسموع وتحليله:**

  - **القاعدة الأولى**: تعلَّم فنَّ الإنصات للمعلَّم جيدًا، وإيَّاك أن تقاطعه.

ـ ما الفرق بين الاستماع والإنصات؟

---

[٣] (مجموع الفتاوى)

- **الاستماع:** هو استعمال حاسَّة السَّمع في استقبال كلمات المتحدِّث.
- **أمَّا الإنصات:** هو الاستماع بانتباه للمتحدِّث، وفهم ما يودُّ قوله لنا.

قال تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).

- **القاعدة الثَّانية:** لا تحكم على الكلام من خلال تصوراتك المسبقة ولا تستعجل في بناء آراءٍ شخصية، وأحكام قطعيَّة وأنت في مرحلة النَّشأة العلميَّة قبل أن تكثر من سماع كلام أهل العلم، **فكم من معتقَد كان يجزم صاحبه به ثمَّ ظهر له خطؤه.**

فعليك أن تتَّسم بالموضوعيَّة وأنت تحاول فهم كلام المعلِّم في القضايا الجدليَّة لتتمكَّن من فهم كلامه حقًا، وجرِّد نفسك من التَّصورات المسبقة، والانطباعات التي في ذهنك، **فقد يكون الحقُّ في كلامه.**

- **القاعدة الثَّالثة**: احرص على استيضاح كلِّ ما تستشكله أوَّلًا بأوَّل، ولا تستحِ من سؤال معلِّم؛ فالاستشكال نصف العلم.

فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يروي عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أنه قال عن ساعة الإجابة: **"قد علمت أية ساعة هي؛ هي آخر ساعة في يوم الجمعة"**، فاستشكل أبو هريرة فبادر إلى السُّؤال: **"وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي)، وتلك ساعة لا يصلَّى فيها؟"**، فقال عبدالله بن سلام: **"ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من جلس مجلسًا ينتظر الصلاة، فهو في صلاة حتى يصليها)**؟ قال أبو هريرة: **"بلى"**، قال: **"فهو ذلك"**[٤].

---

[٤] وهو مثال يصلح على القاعدة السَّادسة من **قواعد لفهم المقروء وتحليله** حيث فهم أبو هريرة الصَّلاة في الحديث بمعناها الشَّرعي، فبيَّن عبدالله بن سلام أنَّ الرماد هنا معناها اللُّغوي الذي هو الدُّعاء.

✓ **تنبيه عام**: لتتأكَّد من فهمك للمقروء أو المسموع قُم بالتَّعبير عنه بلغتك الخاصَّة، فإذا وجدت نفسك تُحسن التَّعبير عنه بصورة جيِّدة فهذا يعني أنك فهمته جيدًا، وإن وجدت نفسك لا تُحسن التَّعبير عنه فهذا مؤشِّر لضعف فهمك له، **فالكلام المبعثر وغير المنظَّم للكاتب أو المتحدِّث يدلُّ على تبعثُر المعلومات في ذهنه وعدم ضبط فهمها بعد.**

نشاط إثرائي: ألزم نفسك بسماع مقطع لا يقل عن نصف ساعة بشكل يومي ولا تغلقه حتى نهايته، وألزم نفسك بالقراءة لمدَّة نصف ساعة يوميًا ابتداء بدون أيِّ عمليَّة انقطاع؛ حتَّى يصبح هذا نمطًا سلوكيًا لك، ثم بعد ذلك نرفع المدَّة مع مرور الوقت؛ ففي المرحلة الأولى نحن نبحث عن بناء العادات وليس عن تحصيل النتائج.





واجب ختامي: اذهب إلى سلسلة "شرح تائيَّة الألبيري" في الأدب، ويلزمك سماع نصف ساعة يوميًا مراعيًا في سماعك جميع ما تعلَّمته في هذه المهارة.

وسيكون هناك استبيان يتطلب منك الإجابة عليه لقياس مدى استعمالك ما تعلَّمته خلال هذه المهارة، وأثر ذلك في عمليَّة الفهم والتَّحليل.

✓ **تنبيه:** يجب سماع السلسلة بالسُّرعة الطَّبيعية، ويمنع تسريع الصَّوت لأيِّ درجة أخرى.

فهرس الموضوعات